الشهيد العظيم
مارابيما

سلسلة الدراسات القبطية

- ٧ -

الشهيد العظيم أبيما

عن أقدم المخطوطات باللغة القبطية

(٦٠٦ ش - ٨٩٠ م)

يوسف جميعان

١٥ يوليه ١٩٦٣

٨ أبيب ١٦٧٩

حضرة صاحب القبطة

البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

قصة كنيستنا القبطية

منذ فجر الكنيسة القديمة كان الدم علامة الخلاص فلم يتحرر الشعب الإسرائيلي نهائيا من عبودية فرعون ومن الهلاك العام على شعب مصر إلا بعلامة دم خروف الفصح (١) .

وأما في العهد الجديد فيسوع هو الشهيد الأول لأنه ذبح من أجلنا وقد صار دمه الكريم علامة الخلاص .

ولكن ما قصة شهدائنا ؟

لماذا يترك يسوع أحباءه يضطهدون ويقدمون ذواتهم للذبح ؟ إن يسوع يحب عليه أن يمجد كنيسته ! وأين مركز الكنيسة ومجدها في هذا العالم . . . كلام كثير يجول بأذهاننا ؟!! .

تتكلم جسديا من أجل ضعف بشريتنا ولكن كلا يا أخي ان الكنيسة التي تتصورها في ذهنك كتحفة لا يمسها شيء ، ساكنة ملائمة لهذا العالم ، هذه الكنيسة المقترحة لا تحمل سمات يسوع فهي بالتأكيد ليست كنيسة يسوع لأن كنيسته

---

(١) خر ١٢ : ١٢ .

هى فى ايحـــازجسده المجروح الشاهد لآلامه . لنفهم حقيقة كنيستنا التى يقول عنها المرتل : « كل مجد ابنة الملك من داخل » (١) ويتكلم سليمان عن هذا فيقول بلسان الكنيسة : « أنـــا سوداء ولكنى جميلة » (٢) هى كنيسة كل من يراها يرى صورة الصليب فيها ! (٣)

جمال الاستشهاد

هو جمال النصرة ذاتها ، الإستشهاد هو نصرة نهائية وموت حقيق عن العالم لكى نحيا الحياة الأبدية ، هو سمو عن العالم وعدم الإنخداع بمظاهره .

هو أن نتبع المسيح الى الجلجثة حاملين الصليب ثم نشترك مع يسوع فى آلامه . . . ! والاستشهاد أيضا هو كمال الطهارة فهو تكريس للنفس والجسد كليهما لله ، وإذا كان الإيمان بدون أعمال ميت فاذا يكون لإنسان حول إيمانه أعمالا ! ؟ الحق يقال أنه يتمتع بكل أبعاد الخلاص فهو انسان لم يترك يسوع لحظة واحدة حتى الصليب فهو أيضا لاينفصل عنه لحظة فى بعده .

والشهداء أيضا هم أشخاص غسلوا ثيابهم فى دم الحمـــل (٤) ، لذلك هم الآن يتسربلون فى ثياب بيض ويرافقون الحمل دائما .

وأنت يا أخى كيف تكون شهيداً ؟

---

(١) مز ٤٥ : ١٣ .
(٢) نش ١ : ٥
(٣) انظر مقدمة كتاب « روائع الشهداء » .
(٤) رؤ ٧ : ١٤ .

الشهادة فى أيامنا

هناك أنواع شهادة فقد كان إبنا الملك لوديوس، (مكسيموس ودوماديوس) « شهداء غرباء صنار » (١) ـ فالرهبنة فى أوج مجدها وحقيقة أمرها شهادة .

والجهاد فى حياتنا الروحية حتى الدم ضد الخطية يعتبر شهادة ، ويصرح القديس مار اسحق السريانى مشجعاً إيانا « انه الأليق لنا أن نموت فى الجهاد من أن نحيا فى السقوط » (٢) ، ويقول بولس الرسول « . . . إننا من أجلك نمات طول النهار قد حسبنا مثل غنم للذبح (٣) ، فلنتشجع لأن ربنا يقول : « كن أمينا إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة (٤) » .

هذا الشهيد :

سنقدم فى هذا الكتاب نموذجاً لشخصية أحد هؤلاء الشهداء وهو القديس إبيا ، وسنقرأ فيه عن إبيا السالك حسب وصايا الله وإبيا القديس والعـــابد ، بالروح والحق ، وإبيا رجل الصلاة ، صانع المعجزات ـ ورجل الإيمان الشجاع الذى لم يتزعزع إيمانه حتى الإستشهاد ، ـ وهذا الايمان عينـــه كان يصنع المعجزات . . . ، ولكن لماذا لم يمكن الإستشهاد شيئا غريبا بالنسبة له ؟ الإجابة

---

(١) قال هذا عنهما القديس أبو مقار الكبير حيث أنهما شهيدات بدون سفك دم (أنظر سيرة مكسيموس ودوماديوس) .
(٢) ص ٣٨٧ كتاب حياة الصلاة .
(٣) رو ٨ : ٣٦ .
(٤) رؤ ٢ : ١٠ .

على ذلك أنه تعلم الإستشهاد منذ أن عرف المسيح ، فهو تعلم كيف يموت عن العالم فكان من السهل عليه أن يترك العالم لأنه لم يكن متعلقا بالعالم ، . وسنرى هذا الكلام فى ثنايا عرضنا لقصة حياته فى هـذا الكتاب ولكن أرجوك أن تلاحظ :

أنت شريد فاحذر لئلا يضيع إكليلك ؟ ؟

هناك أعداء يحاربونك وملك يريد أن تسجد لأوثانه . هو إبليس ، وأوثانه - كما يقول الآباء - هى شهوات هذا الجسد ومغرياته هى لذات العالم ، وعمله هو التحيل على أتباع يسوع كل يوم وتقديمهم للمحاكمة كما كانوا يفعلون بالشهداء .

وما السبعون ملكا الذين كانوا يحكمون على الشهداء إلا أبناء هذا العـالم وما نسمعه كل يوم من كلام الناس الفاسـد وسخرياتهم ، ولكنك تستطيع أن تصنع معجزات بقوة الصلاة كما كان يفعل إيليا . . . وأمـا عن أبليس فيقول الكتاب ، قاوموا إبليس فيهرب منكم ، . ولكن توصيك ألا تنجذب وراء مغريات هذا العالم وتنسى انك فى قلب معركة كبيرة ، وينبغى عليك أن تسعى من أجل الجعالة الموضوعة أمامك فاحذر من أن يخذف إسمك من سفر الحياة .

فحص هذا الكتاب :

عثرنا أثناء تصفحنا لمخطوطات المتحف القبطى على مخطوطة مصورة نـادرة مكتوبة باللغة القبطية باللهجة الصعيدية عن نسخة بالمكتبة الأهلية بيـاريس وهى عبارة عن ٧٨ صورة هى سيرة الشهيد إيليا ، وتبين لنا بعد أن القصة اخذت عن

مجموعة ، مورجان ، وهى المجموعة المكونة من ٥٧ مجلد باللغة القبطية باللهجـة الصعيدية التى وجدت فى خرائب دير الحامول بمنطقة الفيوم سنة ١٩١٠ .

ويرجع تاريخ المخطوطة إلى (سنة ٦٠٦ ش - ٨٩٠ م) . ، وقـد ترجمت عنها المخطوطة المكتوبة باللهجة البحيرية فيما بعد - واهتم بنشر المخطوطة الصعيدية المرحوم ، توجو مينا ، مع ترجمة فرنسية لها بتوصيـة من الدكتور « Crum » ، صاحب قاموس اللغة القبطية ،

لقد رجعنا إلى أصل القصة ، وكانت غـير مرتبة ولامبوبة ، فلكى نوفى السيرة حقها إضطررنا الى الرجوع لكل ما كتب عنها مما أوردناه من مراجع فى نهاية الكتاب ، وكان هذا الكتاب الذى بين يديك يأعانا القارىء هو خلاصة ما كتب عن القديس العظيم الذى لم يكتب عنه شىء حتى الآن ، بل لأول مرة تخرج سيرته إلى عالم النور ، ليت الله ينفعنا بصلاته آمين .

* * * * *

ولايفوتنى أن أشكر الأخ الأستاذ مريد عبد المسيح على معاونته الصادقة لى حتى وصل اليك - أيها القارى العزيز هذا الكتاب بصورته الحالية .

نوفى جبيب

الفصل الأول

قصة الاستشهاد

التى عاصرها القديس

نسلم أنتقل الصولجان الإمبراطـــورى منذ سنة ٢٨٤ م الى يد رجـــل مهـــم فى الامبراطورية الرومانية هـــو دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) ، وقسمت الامبراطورية فى عهده الى أربع ممالك (ايالات) هى غاله وايطاليا واليريا والشرق ، وجعل دقلديانوس لكل منطقة حاكما ، وكان هؤلاء الحكام هم : قسطنطينوس وغالبريوس صهره ومكسيميانوس ودقلديانوس ، وقد اختص دقلديانوس نفسه بالشرق ومصر وليبيا ، وأقام مكسيميانوس معادلا له وأعطى لكل منها لقب أو غسطس (١) .

وأقام دقلديانوس فى نيقوميديه بآسيا الصغرى وظل يحكم الشطر الشرق من الإمبراطورية لكنه كان غريباً فى طباعه وحكمه . . .

شخصية دقلديانوس

يقال أنه نشأ فلاحاً خشناً وتبدو على طباعه سمة التناقض والتزمت وقد كان مندفعاً للتطهير متسرعاً فى الإصلاح بدون روية ، فانحرف فى حكمه وأصبح حكمه استبدادياً (٢) .

وقد أضفى على شخصيته نوعاً من الألوهية وادعى أنه ينتسب إلى المشترى

(١) عن كتاب الحضارة البيزنطية تأليف ستيفن رانسمن ص ١٤

(٢) تاريخ أوربا فى العصور الحديثة ه . ا فيشر (القسم الأول ص ٢ و ٣) .

« جوبتر » (١) .

ولما أحس دقلديانوس أنه لايستطيع أن يتمم رغبته هذه بأن يعطى لسلطانه رهبة إلهية ، وكان يصور نفسه بشبه إله ، أراد أن يجعل أقوى الهيئـــات الدينية تخضع له قهراً وربما كان هذا أحد أسباب الإضطهاد .

ظروف تحوله

يقال ان دقلديانوس كان مسيحياً فى بادىء أمره ولا نقصد من هذا أنه تعمد وإنما نقصد أنه تربى فى بيئة مسيحية تخرج فيها بعض الشهداء العظام أمثال بقطر وباسيليدس وباتريكا أخته وإنها تادرس المشرق ويوستوس . . واوسابيوس . . وغيرهم (٢) ولكنه فضلا عن كونه لم يعش كمسيحى فيما بعد قد إنقلب ضد المسيحيين وإزداد فى تهمته عليهم شيئاً فشيئاً حتى حدث فى أيامه أعظم إستشهاد فى تاريخ كنيستنا القبطية . ولا يعرف بالضبط الأسباب المباشرة وغير المباشرة التى سببت إنقلابه وسنذكر بقدر الإمكان بعض هذه الأسباب :

(١) لم يكن أمن المسيحيين فى يد دقلديانوس فقط بل كان فى أيدى عـــدة أشخاص ، لكل منهم منهج ومقصد خاص ، وظل دقلديانوس حوالى عشرين سنة لم يسىء فيها للمسيحيين ، ولكن أول شىء أثار سخطه هو قضية الإستقلال

(١) كان يعتبر ملك الآلهة فى القديم وكان كل قيصر يتخذ له ألقابا يعتبر نفسه من فريقه ، فإتخذ مكسيميان هرقل وقسطنطينوس أبولو ودقلديانوس المشترى .

(٢) د . أوليرى ص ١٠١ و ١٠٢ و ١٧٥ و ٢٦٥

بمصر التى أثارها أخيلوس الوالى ، وقد إستغل فترة الإضطرابات التى حدثت فى الامبراطورية وحاول أن يستقل بمصر وينصب نفسه ملـــكا عليها ، ولم يتمكن غاليريوس صهر دقلديانوس من إخضاع هذا الوالى ولشدة خرجه إبتدع قصة عاطلة ، وكان الأخير عدواً للمسيحيين فقال إن المسيحيين هم الذين أثاروا الفتنة وساعدوا أخيلوس مما أثار سخط دقلديانوس عليهم لأنه كان قد حضر بنفسه إلى مصر ليقمع الثورة .

(٢) فى أثناء أقامة دقلديانوس بمدينة نيقوميديه أثيرت فتنة كان مسرحها الديوان الملكى ، ويقال أن هـــذه الفتنة أثارها مكسيميانوس لكى يحرك على المسيحيين غضب الإمبراطور فإتفق سراً مع خصيان البلاط على عدم إفشاء سر الحادث ، ويرجح يوسابيوس القيصرى أنه لا تعرف الأسباب التى من أجلها شبت النار ولا كيف حدثت ولكن المهم فى الموضوع أن المسيحيين أتهموا زوراً بإشعال النار مما أثار سخط دقلديانوس عليهم وربما كان ذلك من الأسباب المبـــاشرة للاضطهاد الذى حدث (١) .

(٣) كان دقلديانوس فى بادىء عهده ميالا للمسيحيين مما جعلهم لا يتصورون أنه فى يوم من الأيام سيضطهدهم ، ويذكر البابا ثيئونا الاسكندرى - فى رسالة له إلى لوسيان المسيحى مدير الخاصة الإمبراطورية - مقدار الراحة التى تمتعت بها الكنيسة فى بداية عهد هذا الإمبراطور ، ولكن هذه الأحلام سرعان ماتبددت .

---

(١) يوسابيوس القيصرى ، تاريخ الكنيسة ص ٣٦٦ ، والكنز الثمين (مكسيموس مظلوم) الجزء الثالث ص ٣٧ .

ويبدو أن ميل الإمبراطور إلى الرؤساء الدينيين المسيحيين أثار غضب كهنة الأوثان وحقدهم ، فطفقوا يثيرون الضغائن فى قلب الإمبراطور ضـدهم ، ومن جهة أخرى أخذوا يهيجون سخط الحكام ، فدسوا إلى غاليريوس العدو الأول للمسيحيين ، وزاد الأمر حرجا حينما كان الإمبراطور على أهبة القتال مع الفرس وإستدعى إليه السحرة والمجوس لكى يتفألوا له ، ولما عجزوا فكروا فى حيلة لكى يخرجوا من هذا المأزق كيلا يقتلوا ، فأجابوه فى الحال أن الأرواح لم تنبئهم بالغيب بسبب أن المملكة مـــلوءة بالمسيحيين ، فخرج الملك تتبعه حاشيته لكى يستشير الآلهة بنفسه ، وقد تردى بذلك فى كل المملكة أن الملك خرج ليستشير الآلهة فى أمر هام ، وكان كهنة الأوثان مجتمعين فى المعبد يفكرون فى حيلة ضد المسيحيين فرأوا أن الفرصة قد سنحت ، وقال رئيسهم للامبراطور الذى كان يصطحب معه بعض الأساقفة (أن الآلهة لا تتكلم فى حضرة أعدائها) فأثرت هذه المقولة على الإمبراطور أيما تأثير لاسيما فى هذا الوقت الحرج الذى كان فيه الإمبراطور غير قادر على ضبط نفسه تماما ، فأمر بطرد الأساقفة خارجاً .

(٤) لم يقتصر الأمر على هذه الحادثة ولكن قصة غضب دقلديانوس على المسيحيين وإضطهاده لهم توقفت مؤقتا لإنشغاله بمحاربة الفرس حتى قيل أنه لما قبض دقلديانوس على نيرسيوس ابن الملك نيكانور ملك الفرس (سابور) (١) إصطحبه إلى أنطاكية حيث عهد به إلى أحد الأساقفة فى هذه المدينة كوديعة حتى ينتهى من الحرب ، وقيل أن الأسقف قد أخـــلى سبيله ، ومهما يكن من

---

(١) عن المخطوط القبطى الصعيدى للقديس ليبيا .

أمر هذه الرواية فلانستطيع الجزم بصحتها خاصة وأن القصة غامضة ولم ترد فى تاريخ أساقفة هذه المدينة ، فلم يرد أى إسم ضمن أساقفة أنطاكية شبيه بهذا الاسم الذى تذكره المخطوطة الاوهو « غايوس ، أو « كيروس » .

ونرجح أن هذه القصة مبالغ فيها ويمكن الحكم على القصة بذلك بمجرد قراءتها. فقد كان نيكانور على علم بأن إبنه كان أسيراً عند هذا الأسقف فأجزل له العطاء وعرض عليه بعض الكنوز الذهبية ليبادله ابنه بها ، ولسنا نعلم السبب الذى لأجله سلم هذا الاسقف هذه الوديعة لو صحت القصة !

وزعموا انه لما عاد دقلديانوس . إبتدع الأسقف حيلة لكى يخفى ماحدث فأحضر تابوتاً وأغلق عليه موهماً بأن نيقوديموس قد مات . ولكن حدث ان نيكانور استأنف حربه ضد الرومان وتشجع لما رأى إنه قد عاد أتيه .

فلما عاد الإمبراطور أصر على القبض على الأساقفة كمجرمين سياسيين ، ثم انه لما رأى كهنة الأوثان ذلك تشجعوا وأرادوا أن يوجهوا سهامهم لكى يثيروا الفتنة فتدخلوا كوسطاء بين الامبراطور والأساقفة المسيحيين فاقترحوا على الإمبراطور أن يسمح لهم بالتضحية للأصنام ثم يعفو عنهم ، وكان فى هذه الوساطة الطامة الكبرى إذ رفض الأساقفة بالطبع السجود للأصنام مما جعل دقلديانوس يصدق تماما جميع الإتهامات السابقة فأرسل فى ذلك الوقت أمراً بقطع رأس أونيثيموس أسقف نيقوميدية الذى كان قد أتهم فى حادثة اشعال النار فى القصر الإمبراطورى كما أصدر أمراً ثانياً بإجبار المسيحيين جميعاً على السجود للأصنام فأثار ذلك هياج المسيحيين ، وكان لهذه الأحداث وقع شديد على نفوسهم

وكانوا قد تعودوا الراحة والطمأنينة طوال هذه المدة السابقة فتهيج بعضهم ومزق المنشور الملكى القاضى بالإضطهاد ، وكان لهذا الخبر أثر سيء فى نفس دقلديانوس إذ لما عرف تمرد المسيحيين على الحكومة أصدر أمراً آخر سنة ٣٠٣ م بهدم كنائس المسيحيين وحرق كتبهم المقدسة ، وتعذيب رؤسائهم وإضطهاد كل من لايخضع لهذه الاوامر ، وقتل ونهب كل من لايسجد للأوثان .

وإشتعلت نار الإضطهاد وإستشهد فى هذه الفترة كثير من كبار القديسين أمثال الشهداء مار جرجس ومار مينا والقديسة دميانة . . ومن بينهم شهيدنا إبيما . وأغلب شهدائنا المذكورين فى السنكسار وأساقفة الكنائس الذين ذكرهم يوسابيوس القيصرى (كتاب تاريخ الكنيسة ص ٢٧٦ : ٣٧٨) كانوا فى عصر إضطهاد دقلديانوس .

قصة السبعين ملكا

أوهم كهنة الأوثان دقلديانوس أن آلهتهم كانت سبب فى إنتصاره فى الحرب وان آلهة المسيحيين هم أعداء مملكته وصادف هذا الكلام قبولا عند الإمبراطور فقال لهم: «وماذا نعمل لكى نشيد بفضل الآلهة» فأشاروا عليه أن يقيم عيداً لكى يضحوا فيه للآلهة ومن تلك اللحظة تحول دقلديانوس الى عبادة الأوثان فأمر لوقته بقتل أساقفة انطاكية وأخذ كمية الذهب الضخمة المزعومة ، وأقام بها سبعين وثنا جعل مقرها مدينة نيقوميديا ، وأمر بصنع أشباهها فى كل مملكة وفى كل بلد وكان المعبد الرئيسى فى مقر كرسيه وكان عظيما ، آلهته مصنوعة من ذهب ويقال

إن عدد الآلهة التي عملها سبعون ، نصفهـا من الذكور والنصف الآخر من الإناث ، تمثل آلهة اليونان والرومان القدماء ، وبعضها تمثل شخصيات من عظماء اليونان والرومان مثل هرقل وأسكليب . . . (١) وبعضها عن شخصيات خيالية والبعض عن شخصيات موضوعية ، فهناك إله الموت ورئيس الآلهة أبولو وإله الحب كيوبيد وإله الشمس . . . وهكذا بالطبع هناك آلهة للموت وآلهة (مؤنث) للحب . . الخ ، وقد صوروها بحسب فهمهم على صورة الإنسـان ، و بعض هذه الآلهة صورت بمنظر خيالي .

وإذ كان كل ملك من الملوك يعتبر نفسه من نسل أحد الآلهة ، وفي بعض البلاد كانوا يزعمون أن روح الآلهة تحل في الملك فكانوا يعبدونه . إتخـذ دقلديانوس أبولو (بصفة رئيس الآلهة) وجاء ليكرمه بعد إنتصاره . . .

والمظنون أن السبعين وثناً يقابلها سبعون حاكا وربما كان هذا كتقليد لأنه يذكر في قصص محاكمة بعض كبار الشهداء أمثال مار جرجس (٢) وأيهما وغيرهم ، أن سبعين حاكا كانوا يجلسون على سبعين كرسياً لكي يحاكموهم ، وذكر أيضا في قصة الشهيد مار جرجس أن داداتوس الحاكم والتسعة والستين ملكا أصدقاءه لما كانوا في العشاء . . . (٣) وأنه فان عندما أحضروه أمام الحاكم

---

(١) كتاب تجسد الكلمة ص ١٠٧ .

(٢) ورد ذكر ذلك في كرولوجية الشهيد مار جرجس (ص ٣٦٤ الإيطالية السنوية لجمعية النهضة) حيث جاء فيها « سبع سنين أكلها القديس جورجيوس والسبعين ملكا مناقين يحكمون كل يوم . . . » .

(٣) كتاب أعمال شهداء المكتبة القبطية « لأمليو » ص ٢٥٤ .

أن أحد السبعين حاكا ويدعى ماجنيتوس قال له إني أطلب علامة في يديك فإذا فعلتها فأقسم باسم إله الشمس واسم أرطاميس واسم السبعين إلهاً إني سوف أؤمن بإلهك وأسجد له بكل إكرام ، ولما قال له القديس ماذا تريد مني ؟ أجابه ماجنيتوس بأن هنا سبعين عرشاً لكل منا أرجل مصنوعة من خشب وطلب منه أن يصنع معجزة كأن تورق الأرجل الخشبية ، وكان هذا الحاكم مخادعاً ولأن الأرجل الخشبية كانت مصنوعة من كل نوع مختلف من الخشب . . . (١)

ويذكر في مكان آخر وقت الحكم بالموت على الشهيد مار جرجس ، أن السبعين حاكا جلسوا في قاعة الحكم . . . .

ومهما يكن الأمر فإنه من المرجح أن هناك سبعين حاكا في مقابل السبعين وثناً ، وقد نصبوهم لكي يحكموا على كل من لا يسجد للآلهة السبعين فهم منتقمون للأوثان السبعين ، وهذا مايظهر من سيرة الشهيد القديس إبميا .

† † †

---

(١) سيرة الشهيد مار جرجس لبدج « Budge » سنة ١٨٨٨ .

صورة منديل ، وجه يسوع ، الأثرية

الفصل الثانى

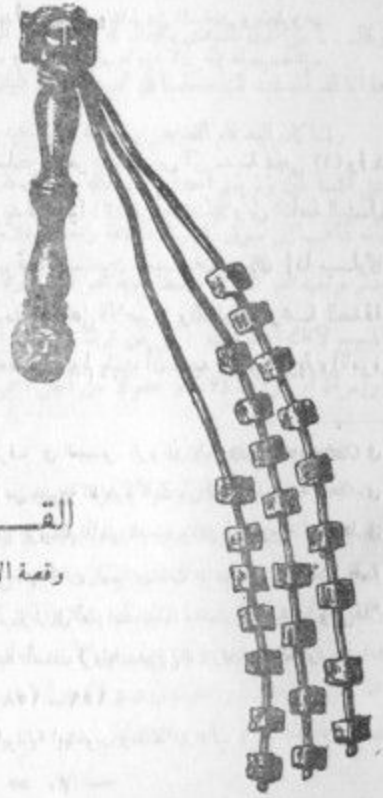

القـــديس ابيما

رقصة الإستشهـــاد فى مصر

حياة القديس

بدأ دقلديانوس منذ ذلك الحين فى إنقلابه ضد المسيحيين وشن عليهم حرب الإضطهاد وهدم أغلب كنائسهم ، كما أمر ببناء هياكل الأوثان وعبادتها ، وكتب إلى ولاة مصر منشوراً سلمه لديمتريوس القائد وهذا الأخير سلمه لأرمانيوس والى الاسكندرية ثم أرسله بدوره إلى حكام البلاد الأخرى الذين بدأوا يبحثون بنشاط عن المسيحيين ويضطروهم لعبادة آلهة الملك الجديدة ، وكل الذين لم يطيعوا كان يحكم عليهم بمختلف أنواع العذاب ثم يقتلون

وفى تلك الأثناء وصلت أوامر دقلديانوس الى مدينة بمجى (١) وقد كان هناك فلاح يدعى إيبا (٢) من أهل بنكلاوس التابعة للبهنسا ، وكان أبـــوه إيليا وأمه صوفيا مسيحيين تقيـــين ، وكان إبنا مباركا ومجتهدا فى حفظ الكتب المقدسة مداوما على الاصوام والصلوات ومحبا للصدقة فكان يعطى لبيت الله باكورة حصاده ، ولم يلبث أن أحبه سكان القرية واقاموه

(١) « البهنســا » وكانت تعرف فى العصر الرومانى باسم *Oxythynchus* فى الصعيد الاوسط على مسافة ١٢٥ ميلا من جنوب القاهرة كانت من المدن الرهبانية الكبرى ولا تزال إلى اليوم مصدرا من المصادر الرئيسية للآثار القبطية والرومانية وجاء وصفها فى تاريخ الرهبان المنسوب الى هيرونيموس أنها كانت تضم بجماعات الرهبات ، داخلها خمسة آلاف وفى خارجها خمسة آلاف . يمتلىء الزائر إلى أصوات العبادة والترانيم الدينية بها وهى تملأ هناك السماء واعجب من هذا أنه كان بها أسقف لرعاية عشرين الف راهبة من العذارى . . . الخ (عن كتاب الرهبنة القبطية ص ١٥٨ ـ ١٥٩) .

(٢) ذكرت أيضا « بيبا » باليونانية ابياخوس ومعناها « غالب » .

رئيسا لمشيرته .

دعوته للاستشهاد

وذات يوم كان هذا القديس نائما وقلبه ملتهب بمحبة الرب يسوع فرأى فى نومه شخصاً نورانياً يناديه بنظـــرات المحبة وكأنه يقول له أتحبنى . . .(١) إذن لماذا أنت نائم والجهاد منتصب والأكاليل معدة . . ؟ ! وإن الشاب بهت جدا وقال : « من أنت ياسيدى » فقال له : « أنا هو الرب يسوع الذى أنت تحبه . . . » ها أنا قد أعددت لك مسكنا فى السموات وإكليلا لايفنى » .

ولما كان الغد قام القديس وروحه ملتهبة فيه لكى يتمم مارآه ووزع مـــاله على المساكين ولم يعلم أحداً من رجاله بهذه الكلمات حتى لايقاوموه بل تظاهر بأنه ذاهب إلى سوق المدينة فودعه رجاله بسلام ، وما أن خرج من المدينة حتى أدار وجهه نحو الشرق وبسط يديه نحو السماء وقال : « إسمعنى ياسيدى يســـوع المسيح لأنك أنت قلت : كل من ترك بيوتا أو أخوة أو أخوات أو أبا أو اما أو إمرأة أو أولاداً (٢) أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة

(١) يوحنا ٢١ : ١٦ .

(٢) كل من كان يترك أبا أو أماً أو كان يجحد آباه وأمهات وإخوة لايحصى عددهم يخدمونه ، أنظر الرسل والقديسين والشهداء والأبرار فإن كلا منهم قد ترك بيتاً واحداً ولكن كم وكم لهم من البيوت أى الكنائس المكرسة على أسمهم ـ قد تركوا أبا أو أماً أو إخوة وأخوات أو امرأة أو أولاداً قليلين أو حقولا ولكن كم وكم من المسيحيين رجالا ونساء شباناً وشيوخاً فى كل مدينة وقرية يكرمونهم على الأرض ويبتهلون اليهم أن يتشفعوا من أجلهم لدى الله . . (كتاب بهجة الفؤاد فى تفسير أناجيل الآحاد) تأليف العلامة نيكوفورس ثيوطوكى فى روسيا سنة ١٨٩٨ (ص ١٣٥) .

الأبدية (مت ١٩ : ٢٩) ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى (مت ١٠ : ٣٨) ، وأنت تعلم ياسيدى انى تركت من أجلك كل ماهو لى . واما زوجتى فكما تعلم أنت قد تركتها منذ سبع سنوات (١) مالكا نفسى من أجل اسمك القدوس وأنت ياسيدى أيضا لاتنفل عنى ولا تغلق أبواب العدل حينما آتى اليك ، لينك تكون معى لكى تعطينى شجاعة حتى أجد القوة لأتمم ما أمرتنى به لأن لك القوة والمجد الى الأبد آمين ».

وبعد أن أتم صلاته رسم ذاته بعلامة الصليب المقدسة بثقة ودخل المدينة وهو يرتل : « إسمعنا يا الله مخلصنا يارجاء أقطار الأرض كلها . . . (٢).

ولم يكد يستقر فى المدينة حتى سمع أن الوالى يجلس فى المعبد يحاكم بعض المسيحيين وكان هناك رجل يدعى أباهور يحاكم مع غيره من المسيحيين (٣) ، فاشتاقت نفسه بالأكثر الى أن يتقدم ولكنه أحس باحتياجه إلى معونة من الله أكثر ، لذلك رفع عينيه نحو السماء وقال : « إسمعنى ياسيدى يسوع المسيح وأعطنى شجاعة كافية وقوة من عندك لكى أقف أمام هذا الحاكم الوثنى الذى يحدف على

(١) لاشك أن القديس عمل هذا باتفاق مع زوجته .

(٢) مز ٦٤ .

(٣) ذكرت المخطوطة القبطية الصعيدية أباهور من إبطوحة مركز مزاو ، وهاب ؟ شماس تكتاش بمنطقة البهنسا ، مكسيموس قسيس شنهارو (بمركز الفشن) ، وبيجوش العباس بطرفه (مركز سمالوط) . . .

إسمك القدوس . . . » وفى هذه الأثناء كان ايانوس (١) أحد الحاضرين يلاحظه فذهب فى الحال الى الوالى وقال له : « ياسيدى أن إيبا شيخ قرية « بنكلاوس » قد حضر خارجاً ، فقال « وهل أتى بأوانى الكنيسة ؟(٢)».

ويذكر « د. أوليرى » ان القديس رفض أن يسلم أوانى الكنيسة ، والمهم أن إيبا أجابه قائلا : « أما الأوانى فلم يبق منها شىء وأما عبادة الأوثان فأنا ما أعبد إلا يسوع المسيح إلهى » — وفى الحال أرسل الحاكم سجانا يدعى تيودور واحضره أمامه .

محاكمة القديس

ما أن مثل إيبا أمام الحاكم حتى قال له « هل أنت إيبا الرئيس » فأجابه القديس بوداعة : « نعم أنا ولكن الله هو رئيسنا كلنا » (٣) . قال له الحاكم : « عن أى إله تتكلم أبولو أو زفس . . . إن شئت اختر لك احد هذين فيخلصك . . . » ولكن القديس قال له : « ماقصدت أحد هذين وإنما أتكلم عن الله أبى ربنا يسوع المسيح » .

وما أن سمع الوالى إسم يسوع حتى صرخ : « لاتنطق بهذا الاسم لئلا تموت

(١) يذكر النص البحيرى هذا الاسم أما الصعيدى فيذكر انوبيانوس .

(٢) أمر المنشور الذى بعث به دقلديانوس كان يقضى بأن تسلم الأوانى والكتب الخ ، الى الولاة .

(٣) أف ٦ : ٩ .

أفظع ميتة وردعنا من كل هذا ، لماذا لم تحضر الأوانى ؟ » فقال له القديس : « ليس لدينا فسوس ولكن اعتدنا ان نبحث فى يوم السبت والأحد عن فسوس يقدس لنا . . . وأما عن الأوانى التى نستعملها فهى من زجاج لأننا اناس فقرا. نسكن فى كوخ بسيط (١) ، فأجابه الوالى : « لايمكنك أن تخفى الأمر على ، وفى ذلك الوقت ذهب ايانوس وقدم عريضة ضد القديس للوالى وذكر فيها أن هذا الرجل الكافر من المسيحيين وهو يرفض قرار الملك ، ولما علم الوالى بمركز إيبا عند أهل قريته أراد أن يحمله يعدل عن رأيه فأغراه بأن يطيع أمر الملك وقال له : « لاتهلك جسدك فى عذابات عنيفة وخلص نفسك واذبح للآلهة واترك عنك هذا الاسم . . . » فأجابه القديس : « أما عن جسدى فقد أعلمنا ربنا يسوع المسيح حتى لا نخشى من الذين يقتلون الجسد وهم لا يستطيعون أن يقتلوا الروح ولكن بالحرى نخشى من الذى يهلك الجسد والروح كليهما فى جهنم (٢) . وأما عن الاسم المكرم الذى لربى يسوع المسيح فلا استطيع أن أكف عن تلاوته . وان الوالى قال له : « إنى سأقطع لسانك حتى لاتذكر هذا الاسم فى حضرتى وسوف أعذبك حتى يهلك جسدك . . . » ، ولكن القديس أردف قائلا : « اذا ماقطعت لسانى فذكر اسم سيدى لا ينقطع من قلبى وحواسى أبداً . . . » (٣) .

(١) يذكر فى تاريخ القديس مكاريوس الإسكندرى ص ٣٧ من كتابنا مايبدو أنه فى القديم بالنسبة لظروف خاصة كانوا يستعملون أوانى زجاجية .
وفى سيرة هذا القديس يبدو أن الأوانى كانت تحفظ فى القديس وكانوا يقدسون فى يومى السبت والأحد ، ويذكر « د . أوليرى » أن الأوانى الزجاجية كانت فى معمودية إيبا .
(٢) مت ١٠ : ٢٨ .
(٣) مز ٨٤ : ٢ ونشيد ٥ : ٢

وأمامن جهتك فأنت لا تستحق أن تسمع اسم الهى لأنه حتى الوحوش الضارية والزواحفات (١) حين تسمع هذا الاسم المبارك إعتادت أن ترفع رقبتها وأنت تحتقره ، وما ذلك إلا لأنه اية شركة بين المسيح وبليعال وأى إتفاق بين بيت الله وبيت الشيطان (٢) .

عذابات القديس في بلدته

قد أثار هذا القول غضب الوالى عليه وأمر لوقته أن يعلقوه فى عامود ويقوموا بتعذيبه . . . ولكن القديس الذى تألم من هذا الوضع رسم ذاته بعلامة الصليب ورفع عينيه نحو السماء وهو معلق على العامود وقال : « ياسيدى يسوع المسيح عونى وملجأى ، يامن أضع فيه كل رجائى يامن تسمع وترى إسمعنى وارحمنى وانظر إلى كل ما يفعلونه بى واذكر انى لم أحد أبداً عن وصاياك ، وأنت أيضاً ياسيدى لا تبتعد عنى ليتمجد أسمك وقدرتك فى هذه المدينة حتى يعرف الجميع أنه لا يوجد إله غيرك يمجد مع أبيك الصالح والروح القدس فى السماء وعلى الأرض إلى الأبد آمين » ، ثم أضاف قائلا أنى اشتهى أن أسفك دمى من أجل أسمك ولكن إسمح بألا تتركنى أموت الآن قبل أن يخزى هذا الوثنى وكل أعماله وآلهته لئلا يقول أنى قد غلبته ولم يستطع إلهه أن ينجيه . وكان يقول هذا الكلام بإنفعال شديد وكانت نفسه جزعة جداً حتى أن الله أرسل له ملاكا فعزاه وقال له تشجع أيها القديس ثم انزله من فوق العامود وحل وثاقه ، وحضر إلى الوالى الذى أمر

(١) مز ١٤٨ : ٧ ـ ١٠
(٢) ٢ كو ٦ : ١٥ و ١٦

لوقته بضربه فأمسك به أربعة عساكر والقوه على بطنه وضربوه بالسياط ، ولكن كل هذا لم يشف غليل الحاكم فأجلسه على كرسى من حديد ووضع خوذة من نار على رأسه وأوقد تحته النيران ظانا أنه يهلك من شدة العذاب ولكن خاب ظنه وكأن الخوذة تحولت إلى إكليل فلم تصبه بشر ولم تؤذه النار ، فلما أحضروه ثانية أمام الوالى ولم يمسه أى أذى صرخ الجمع كله قائلين، عظيم هو السيد الرب الذى يعطى شجاعة ومجداً لخدامه ، أننا لن نتركهم يقتلون هـــذا الرجل ، وارتجت المدينة كلها وصمموا على أن يحطموا القديس ويمضوا به إلى بيته وقالوا اذا قاومنا هذا الرجل الوثنى نرجمه ـ ولما سمع الوالى بهذا الكلام خاف وقال فى نفسه ماذا نفعل بهذا الرجل فإن الجمع لا يتركنا نعذبه فأشار أحد رجاله عليه بأن يرسله إلى الإسكندرية ليعـــاقب هنـــاك لأن سكان هـــذه المدينة كانوا يعرفون أنه رجـــل له مـــكانته .

الفصل الثالث

القـــديس

فى الأسكندرية

كتب « لوكيوس » حاكم البهنسا الى « أرمانيوس » والى الاسكندرية خطابا يقول فيه : « أرسلت لك بخصوص رجل مسيحى من البهنسا يطيعه الجميع ويخشونه بسبب أعماله السحرية ولهذا السبب عارضنى سكان البهنسا والمنطقة التى يرأسها ولم يسمحوا لى بأن أعذبه ، وها أنا قد أرسلته اليك لتعاقبه كما أردت حتى يذعن لأمر الملك . . . » وسلم الرسالة لأربعة من جنوده الذين أوثقوا القديس واقتادوه إلى شاطىء النهر حيث أبحروا به ، وأما الطوباوى فكان حزيناً جداً حتى أنه بكى لأنه شعر أنه ذاهب إلى بلد غريب فرفع عينيه نحو السماء وهو موثق وقال : (١) « ياسيدى يسوع المسيح عونى وناصرى أنت تكون معى حيثما أذهب لأنهم أخذونى الى مكان لا أعرفه ولا أعرف غيرك ايها الرب الإله القادر على كل شىء المالىء كل مكان لأن لك القوة والمجد الى الأبد آمين » .

وبعد أن أتم صلاته كان قد تعب وأنهك فنام ورأى فى نومه الرب يسوع وقد وقف به يعطيه السلام ويعرفه بما سيحدث له بالاسكندرية وأنه ستجرى على يديه آيات وعجائب حتى يؤمن الكثيرون . ولما أفاق من نومه أحس بالسلام

(١) الصلاة لها قوتها وفاعليتها فى أوقات الضيقات وفى كل وقت ، والقديسون ضربوا لنا أروع الأمثلة فى كيفية إستخدام الصلاة فى أوقاتها ، وهذا القديس أحد النماذج العملية التى توضح ذلك ، وسنرى أنه لم يفتر لحظة واحدة من لحظات الآلام وإستشهاده عن إستعمال هذا السلاح حتى لايضعف فكان يشعر أنه دائما أمام مصدر القوة . فلا تستهين أنت بقوة الصلاة !

يملأ قلبه وأخذ يمجد الله إلى ان وصل الى الاسكندرية وكان هذا اليوم هو اليوم الأول من الصوم الكبير ، واشتاقت نفسه إلى هذا الصوم فصلى الى الله وقال : « يا الله الذى خلقنى فى أحشاء أمى والذى حفظنى حتى هذه الساعة ليتك تحفظنى لمدة هذه الثلاثة أيام لأنه كان فى يوم سبت (ويبدو أنه كان يريد أن يصوم يوم الاثنين) (١) ولما أنهى صلاته كان الجنود قد حملوه الى المكان الذى فيه أرمانيوس حيث كان الحاكم يحتفل بيوم عيد ميلاده ، فأعطاه الجند التقرير وسلموه القديس موثقا ، ولكن سكان المدينة رفضوا الحكم عليه لأنهم قالوا أنه لا يحل قتل إنسان فى يوم عيد الحاكم ، لذلك اقتادوه الى السجن للغد .

عجائب الله فى القديس

لقد حان وقت استجابة صلاة القديس لكى يعلن الله مجده فيه فقد كان هناك فى السجن رجل به روح نجس يعذبه ، فكان الروح النجس يصرخ بصوت عال مخاطباً القديس بأنه سوف يخرج وكان الشيطان ثائرا فكان يقتاد الرجل ويقلبه على الأرض ثم جاء يرمى نفسه عند قدمى القديس وأخيرا خرج منه (٢) .

وقد كانت لهذه المعجزة أثرها القوى فى نفوس الحاضرين ، أما بواب السجن فلما رأى هذه المعجزة أسرع إلى القديس وتوسل اليه من اجل إبنته الوحيدة وكانت تتألم منذ ثلاثة أيام بأوجاع الولادة ولم تلد ، وقد حار الأطباء فى شفائها ، ثم أن القديس بسط يديه وصلى عنها الى الله . . . والله الذى أراد أن يعلن مجده فى قديسه

(١) السبت والأحد ممنوع الصوم فيهما القطاعيا .

(٢) هذه القصة وردت بالخطوطة القبطية الصعيدية .

كما ذكر له سابقاً أظهر بعده أمام الجميع ، فلما مضوا إلى حيث المرأة وجدوا أن أوجاع الولادة قد فارقتها وولدت أبنا سموه إيبا .

عذابات القديس في الاسكندرية

وفي الغد أرسلوه إلى الوالي فأحضر إلى كرسي الولاية وكان عند الميناء وأمره الوالي أن يذبح للآلهة حسب العادة ولكن القديس قال له : « لن يكون هذا أبدا أن أترك إلهي يسوع وأعبد أوثان ، فلا تتعب نفسك ولا تحاول إغرائي » ، ولما عرف الوالي مقدار ثباته أمر بتعذيبه حتى يثنيه عن رأيه ، فحمله الجنـد وربطوه على المعصرة فلما فعلوا ذلك أراد الله أن يعلن مجده فانشقت المعصرة إلى نصفين وحل بذلك وثاق القديس ، ولما أخبروا الوالي بذلك غضب جداً وأمر أن يحمى أتون نار وأن يطرح القديس فيه ولكن الرب أرسل أمطـاراً غزيرة ورعوداً فتعذر على الوالي تنفيذ قصده ، ويبدو أن الوالي قد أحس مقدماً بفشله وخاصة بعد أن سمـع عن قصة تعذيبه بالبيفسا فأمر بإرجاعه إلى السجن ثانية إلى وقت آخر .

لقاء مع كاتب السيرة

لما سمع بوليوس الأقفهصي (١) عن هذا القديس ذهب ليزوره في السجن ـ ويحدثنا بوليوس عما شاهده فيقول أن هذا الرجل ما كاد الجنود يسـيرون به من القصر حتى أحاط الناس به ، وكان هناك رجل أعمى يتوسل إليه أن يعطيه

(١) أنظر ترجمة حياته بنهاية الكتاب .

شيئاً وظنت أنه سوف يتنهره لأنه ليس لديه شيء حتى يعطيه فتوجهت بالقديس يرفع عينيه نحو السماء وقد صلى هكذا قائلا : (١) « ياسيدي يسوع المسيح إسمعني يامن فتحت أعين العميان وأنت واهب النور لكل أحد إرحم هذا الرجل المسكين الذي يستعطي واصنع معه رحمة حتى يكون قادراً على العمل ولكي يتمجد إسمك القدوس لأن لك القوة والمجد إلى الأبد آمين » .

ولما إنتهى من صلاته نظر إلى الرجل نظرة حنان وشفقة وقال له ليس لي

---

(١) حينما نقرأ عن مواهب الروح القدس نقول في يأس أنها أحداث الماضي البعيد ... ولكن لا ـ ، فالموهبة هي قوة الكنيسة توافقها جميع الأجيال إلى إنقضاء ، ويقول أبونا أنطونيوس قائلا : « السيد المسيح أكد لنا « أنا معكم إلى إنقضاء الدهر . . . من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها (يو ١٤) ، فالمواهب علامة الروح وثمرته التي تميز عمل الله في كنيسته ، وليس العيب هو هبوب الروح لأن الوعد صادق ، ولا هو عيب الزمن لأن يسوع هو هو أمس واليوم وإلى الأبد . وتمتاز كنيستنا كما يقول القمص السابق بجرأتها في طلب المواهب والثمار الروحية لأولادها بلا تردد . . . والقديسون جميعهم ورثة المواهب منذ الأجيال الأولى حتى وقتنا هذا . . . فيا أولادي الوارثين مع القديسين ليست الفضائل بأجمعها بعيدة عنكم بل هي لكم ومنكم وأنتم لستم مختفين في هـذا العالم بل ظاهرين لله وروح الله فيكم ولكن اذا ماتمم هذه المواهب فلا تظنوا أنها من أعمالكم بل هي قوة مقدسة مشتركة معكم في جميع أعمالكم فاطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري ، حينئذ يعطى لكم . . ولا تفكروا في قلوبكم وتحكموا ذوي قلوب وتقولوا من يقدر أن يقبل هذا ؟! لا . . يا أولادي لا تدعوا هذه الأفكار تخطر على قلوبكم بل أطلبوه باستقامة فعطاياه ، وأنا أيضاً أبوكم أجتهد معكم وأطلب لأجلكم أن تنالوه لأني أنا عارف أنكم كاملون وقادرون على نواله . . (من كلام القديس أنطونيوس من ص ١٧٥ — ١٧٧ كتاب حياة الصلاة) ، لأجل هذا كان إيبا يصنع المعجزات .

شيء أعطيه لك ، ووضع يديه على عينيه وقال له : باسم سيـــدى يسوع تنفتح عيناك . . . .

ولا أستطيع أن أصف شعورى تجاه هذه المعجزة فأنه ما كاد يرفع يده عن عينى الأعمى حتى أعيد بصره إليه فجرت نحو القديس وسجدت أمامه (١) ، وطلبت إليه أن يذكرنى فى صلاته وقلت له إنى مستعد أن أكمل لك كل ما تسألنى عنه ، فقط لى أخت مريضة تدعى إفخارستيا بها روح نجس ، وهذا جعلها مشلولة فى كل جسدها وظلت معذبة بمرضها لمدة أربعة عشر عاماً ، وقد حيرت الأطباء فإذا كنت تصلى إلى الله لكى يشفيها لأنها بالحقيقة محبة للفقراء ومحب المسيحيين . . .

(١) السجود هو خلق عبادة مقدم لله وحده ولا يصح إذا قدم بهذه الصفة (بالروح والحق) أن يقدم لآخر سواه .

غير أن للسجود معان وصور أخرى . .

† سجود يعقوب لعيسو أخيه سبع مرات (تك ٣٣ : ٣) إسترضاء لوجه أخيه وصرفاً لروح الغضب .

† سجود بنى يعقوب ليوسف أخيهم بصفته رئيس مصر وكان كملائكة الرب (تك ٤٣ : ٢٦) .

† سجود ابراهيم للبارك من قبل الله لبنى حث الوثنيين وكان كعلامة على إيمانه الشديد (تك ٢٣ : ٧) .

† سجود المرأة الشونمية لأليشع وكان إعترافاً بالجميل وتكريماً للنبوة . (٢ملوك٤ : ٣٧) .

† سجود كرنيليوس قائد المئة أمام بطرس إعتراضاً لتلميذ المسيح (أعمال ١٠ : ٢٤) .

وعلى العموم نحن لسنا مختارين فى سجودنا لله فهو أمر حتمى على كل إنسان . . . (من كتاب حياة الصلاة ص ٦١٢ — ٦١٣) .

أرجوك أن تصنع لى هذه الخدمة الكبيرة ، فهما إحتجت إلى أى أمر أصنعه لك ، فأجابه القديس ليس لى أى طلب سوى أنى غريب فى هذه البلدة وليس لى هنا إنسان يعتنى بى عندما ينفذ فى الحكم وأريد منك أن تعتنى بجسدى . . . ، فأجابه بوليوس بأنه رأى فى هذه الليلة أيضاً ملاك الرب وأمره أن يكتب قصة الشهيد ويبقيها فى بيته ، وأضاف بوليوس قائلا : أرجوك أن تذكرنى وكل أهل بيتى فى الأماكن التى سوف تذهب إليها ، فبارك القديس وقال : « يباركك سيدى يسوع بركة فم ، ليبارك بيتك ولن يحدث فيه مجاعة ولا وباء » ، وتنبأ له بأنه سوف يكون ضمن شهداء المسيح ، وأضاف قائلا : « أرسل ليحضروا أختك هنا لأنه ينبغى أن يظهر مجد الرب يسوع أمام الجميع ـ أرســـل بوليوس خدامه فأحضروها ووضعوها أمام الطوباوى فى فراشها ، فطلب القديس إناء به ماء وصـــلى عليه قائلا : « يا سيدى يسوع المسيح أتوسل إليك يا من شفى المفـــلوجين وأخرج الأرواح الشريرة من المرضى إسمع صلاتى وامنح الشفاء اليوم لخـــادمتك افخارستيا مكافأة لها على الخير الذى صنعته بخدامك الشهداء ، ومن أجل هذا الرجل الذى أرسلته حتى يعتنى بى من أجل إسمك القدوس ، حتى يظهر مجدك أمام الجميع لأن لك القوة والمجد إلى الأبد آمين (١) » .

إنتهى من صلاته وباركها وأعطى الماء لخادمتها وطلب أن تستحم به ، وقد تم بالفعل الشفاء على يديه حتى أن القديسة مشت على قدميها وجاءت إلى السجن حيث القديس وطرحت نفسها عند قدميه ومجدت الله أمام الجميع .

(١) وردت هذه القصة بالنص القبطى الصعيدى واضحة عن النصوص الأخرى .

وبعد هذا كله سمع الوالى الوثنى بالعجائب والمعجزات التى كان يصنعها القديس فى السجن فأرسل فى طلبه إلى كرسى الولاية .

محاكمة القديس للمرة الثانية

لما مثل أمام الوالى قال له : « هل أنت إنسيا الساحر ؟ » ، فرد عليه : « نعم أنا إنسيا ولكنى لست ساحراً فأنا عبد يسوع المسيح (١) » ـ قال له الوالى : « إذن فما هى هذه الأعمال السحرية التى سمعتها عنك وأنت فى السجن ؟ » ، قال له: « هذه الأعمال كانت باسم سيدى يسوع المسيح » ، فقال له الوالى : « أفأنت مصر على عزمك وتمسكك بهـــذا الإسم » ، أجاب نعم . . . وقص له قصتـــه عن استراتول الشهيد .

ذكرت المخطوطة القبطية السعيدية القصة التالية :

« . . . سمعت عن ساحر يدعى استراتول (٢) الذى صنع عجائب كثيرة بواسطة سحره ، وكان قد فعل سحراً فانفتح باب الهاوية ونزل فيه راغباً فى التجول فيه ، فأغلق عليه البئر وأحاطت به الشياطين ، وكان البعض يقول فلنقتله والآخر يقول فلننزع جلده ، وآخرون يقولون فلنقطع رأسه وغيرهم فلننزع أظافره ، وكانوا يفكرون أيضاً فى تعذيبه بعذابات كثيرة ، فأتعب نفسه فى التوسل إلى الشياطين ولكنهم لم يستطيعوا أن يخلصوه ثم تذكر إله المسيحيين فتضرع قلبه

(١) رومية ١ : ١

(٢) استراتول الساحر الذى يتكلم عنه هذا النص يظهر أنه نفس استراتول الشهيد الذى ذكر إسمه فى نص « White » ـ تعليق ـ « توجو منها » .

وقال فى نفسه لو كنت قد تجسمت هكذا لهذه الدرجة بمجرد تفكيرى فقط فى إله المسيحيين ، إذن كم تزداد قوتى لو اعترفت به بفمى ولسانى ، وللحال صرخ بصوت عظيم قائلا : « يسوع المسيح إله المسيحيين إذا أخرجتنى من هذا المأزق فسأذهب لأسفك دمى لأجل اسمك القدوس » ، وللحـــال انفتح باب الهاوية وخرج منه ، وهكذا لكى تعرف أيها الحاكم أنه ليس هناك إله له القوة مثل إلهى يسوع المسيح » .

فأجابه أرمانيوس قائلا : دع عنك هذا الكلام ودعنا من إلهك ، وسأله هل يقدم تضحية للآلهة أم لا ؟ ، واخبره انه لا يستطيع أن يقنعه بمثل هذه الأحاديث فقال له القديس : كفى وإن كلمة واحدة كانت تكفى لإرضاء الحكيم ولكن ينبغى أن تعلم أنك لو أمضيت سنة كاملة تحاربنى بخصوص هذا الموضوع لعبادة إلهك ، فلن يحدث هذا ـــ أأترك إلهى يسوع وأخدم أوثانا مكروهة ؟ ! فقال له الوالى: أطعنى وإلا ستندم وإن كنت تطيعنى فسأعطيك هبة من عندى وســـوف أكتب لسيدى الملك فيعطيك مائة جندى يكونون تحت أمرك وفى خدمتك ، فقال له القديس دع هذه النعمة لك وحدك أما أنا فعندى يوم واحد فى ملكوت سيدى يسوع المسيح أفضل من عطيتك هذه ، فحنق عليه الوالى وأمر أن يربط ويجر فى المدينة (١) .

(١) ذكر ذلك فى المخطوطة البحيرية ، أما المخطوطة القبطية السعيدية فيذكر أنهم جروه فى ميدان المدينة الى أن تمزق جلده بأحجار الميدان .

افتراء الوالى وتأديب الله له

أتوا بالقديس من جديد وأقاموه أمام الوالى، وكانت آثار الجراح غير ظاهرة عليه فاغتاظ الوثنى وقال لحاشيته هكذا أما قدرتم أن تذيقوه العذاب، ثم أردف قائلا بنيظ : « إذا كان الهه له يدان يمنى فلن يستطيع أن يخلصه من يدى، ولكن بحق أبولو الكبير سوف أحاول مرة أخرى أن اذيقك العذاب وأنزل عليك الهلاك ان كان يستطيع الهك فليأت ويخلصك من يدى » فقال له القديس :

« لماذا تجاسرت لتحدف على الاسم الحسن اسم إلهى يسوع الذى لايقارن بين مجده العظيم وبين مجد إلهك أبولو المصنوع من حجر، وبما انك فعلت هذا فإن إلهى سيعاقبك فى الحال لأنك لم تتخشع أمامه - فهو له المجد وحده مع أبيه الصالح خالق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها - الذى يمجدونه، وبما أنك تجرأت واقتربت عليه فسيخرسك حتى لاتنطق بتجديفك عليه (١) وسيعميك حتى لاتبصر خليقته، وفى الحال لصق لسانه بشفتيه فلم يستطع الكلام كما أن سحابة مظلمة غشت عينيه فلم يستطع أن يبصر أمامه وتعجب الجميع وصرخوا قائلين :

ليس إله غيرك يا إله إيليا، اله المسيحيين يسوع المسيح، ثم سكت الجمع كله وساد السكون المحفل، وكان الوالى يتأوه من شدة الضيق ولم يعرف اين يذهب،

(١) ذكرت المخطوطة القبطية الصعيدية أنه أخرسه فقط، وذكرت المخطوطة البحيرية أنه أصيب بخرس وعمى معا.

فاقتادوه بيده وذهبوا به الى بوليوس الأقفهصى وطلبوا اليه أن يتوسط بينه وبين القديس، وهذا الأخير جاء إلى الطوباوى إيليا الذى لما رآه استقبله بسرور كصديق وقال له ماذا تريد أن أفعل يا أخى، فقال له بوليوس : أرجو أن تطلب من أجله فيرفع الرب غضبه عنه ويطلق لسانه ويفتح عينيه فيبصر. فأجاب القديس إيليا حى هو السيد الرب لن يقدر أن يتكلم حتى يعترف بيسوع المسيح اله المسيحيين، حينئذ تقدم القديس إيليا لما تيقن أن الأمر قد انتشر فى كل المدينة فرفع يديه نحو السماء وقال للوالى : « باسم يسوع المسيح الهنا الذى فتح فم زكريا حتى بارك الله وفتح عينى الأعمى، ثم قال : ياسيدى يسوع المسيح افتح فم وعينى هذا الوثنى وإنى أعلم أنه ان يؤمن ولكن بسبب الجمع الحاضر لكى يعرفوا قوتك العجيبة، وفى الحال تكلم أرمانيوس وأبصر، ولكنه لم يستطع أن ينطق بشىء عن القديس لأنه كان فى دهشة ولم يعرف ماذا يفعل بالقديس، غير أنه أمر أن يمضوا به من أمامه الى حين.

معجزة إقامة ميت

لما قيدوا القديس وذهبوا به إلى مكان الحبس قابله فى الطريق أناس يبكون ويولولون، ولما اقترب منهم رق لحالهم وسألهم عن سبب بكائهم فعلم أن أخا لهم سقط من الطابق العلوى وكان يبنى بيتا وأشرف على الموت، وكان يدعى يوساب(١)

(١) وردت بالنص الصعيدى فقط.

ـ فاشتاق القديس أن يعلن مجد الله وسط هذا الجمع ، فتقدم ورسم جسده بعلامة الصليب المقدس وقال : « باسم يسوع المسيح صانع العجائب لتنتعش نفسك أيها الشاب » ثم تركه ومضى ، فانتعشت نفسه ، فآمن كل الجمع الواقف بالسيد المسيح ، وكثيرون منهم تقدموا ونالوا إكليل الشهادة .

عودة القديس الأخيرة بالإسكندرية

فى هذه الأثناء استدعاه الوالى ولما مضوا به إليه كان ثائراً ومغتاظاً من أجل ما أحدثه القديس من عجائب وأمر أن يقتادوه إلى البحر كما أمر « سياخوس » أحد الجلادين أن يقتل القديس بأية وسيلة ، فحمل سيفه وهم يجرون القديس نحو البحر لتقطع رأسه فقال له أحد القديسين ويدعى ديسقوروس : « يا سياخوس يا ابنى كيفاك سفك دماء الشهداء لأن إلههم عظيم لن يتركك فى قساوتك ، وسوف يجعل دماءهم عليك ـ وفى ذلك الوقت تقدم عائلة وستة من الرجال نحو أرمانيوس وأمسكوه ولم يدعوه يمضى للعشاء ، وكانوا يصيحون صياحاً شديداً « واحد هو إله القديس إيبا وليس آخر سواه مبارك إسمه » أما القديس فجرى نحو الوالى وقال له « حى هو سيدى لن تأكل أو تشرب قبل أن تتخذ قراراً بشأنى ، أرجو أن تتعجل قتلى » ولكن الوالى لم يستطع أن يصدر حكماً بشأنه وكان كل سكان المدينة قد إجتمعوا ضده ، ففكر فى طريقة لكى يتخلص منه ، فأحضر مروضى الوحوش الضارية وقال لهم إذهبوا واحضروا أربعة وحوش وأمر بأن يربطوا مع القديس وأن يطرحوا فى مركب صغير إلى البحر بغير مدبر ، متيقناً أن أقل ما يحدث أن الوحوش تفترسه ، ولكن بعد أن قطعوا الجبال وتركوا المركب

لموج البحر (١) كانت الزوابع تحرك المركب بينما كان القديس يصلى وكان يقول « إسمعنى يا سيدى يسوع المسيح يا سيد كل الخليقة ، وكل الخليقة تعترف باسمك وأنت الذى أعطيت لآدم منذ القدم أن يستأنس بالوحوش ، وأعطيتنا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوات العدو ، إسمعنى أيضاً فى هذا اليوم وأخضع قوة هذه الوحوش الضارية كما أخضعت قوتها أمام دانيال فى جب الأسود ، لأنك تعلم أنهم جعلونى فى وسط هذا البحر تائهاً بعيداً عن مسكنى ، وقد شاركتنى الوحوش أيضاً فى هذه الغربة . . . ولكننك يارب أنت قلت إذا أخذت جناح الصبح وسكنت فى أقاصى البحار فهناك يدك معى وعينك تحرسنى . . . (٢) ، وها أنت هنا أيضاً يارب . . . أنت المالىء كل مكان ، لاتتركنى بل إظهر قوتك ومجدك ليخز جميع أعدائى لكى يعرفوا أنك الإله صانع العجائب وحدك . . . » وكان القديس يصلى بهذا الكلام وهو مطروح على ظهره لأنه كان لا يزال مقيداً ، وكانت الدماء تنزف منه ولم يكن قادراً على القيام ، فأشفق الرب عليه وأرسل ملاكه فأقامه وفك قيوده وأبرأ جراحه وعزاه وقال له « تشجع فقد بقيت أمامك مرحلة ليست قصيرة ثم تنال إكليل الشهادة ثم إختفى عنه ، وفى الوقت سارت السفينة إلى الشاطىء ، وكان الجوع

(١) يذكر المخطوط القبطى الصعيدى انهم طرحوه فى البحر بينما المخطوط البحيرى يقول أنهم طرحوه فى النهر وربما ـ وهذا ما نرجحه ـ يسمون النهر بحراً فى الصعيد .

(٢) مز ١٣٩ : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

منتظرين واندهشوا جداً من أجل هذه الأعجوبة (١) ! إذ نادوا بصوت عظيم قائلين « هل ما زلت حياً يا إيليا » فأجاب القديس « شكراً لسيدى يسوع المسيح الذى أرسل ملاكه وخلصنى من بين الأشبال وأظهر مجده حتى يسد كل فم يرتفع ضد إرادة معرفة مجده وحتى يخزى جميع الساجدين لصنع الأيادى ولتفتضح آلهتهم النجسة » .

ولما سمع الوالى بهذه الحادثة جلس على كرسى الولاية فى مكان عند شاطىء البحر يدعى « نيتون » (أى إله البحر) ، واستدعى القديس يوليوس الأقفهصى وطلب إليه أن يعطيه حلا لهذه المشكلة إذ كان الجمع مصمماً الا يمد يده إلى هذا القديس بعد ذلك بسوء وكان يخشى منهم لئلا يرجموه (٢) ، وإزدادت أصواتهم فأشار الحارس على أرمانيوس وقال له « ياسيدنا إستمع إلينا وانت هذا الرجل وأرسله إلى مصر العليا لكى يقتل هناك ، وإلا فإننا إذا عذبناه يهلكنا

---

(١) كانت للقديسين معجزة من الله حتى أن الوحوش كانت لا تجسر أن تسهم بأذى ، وفضلا عن ذلك فإن الطبيعة الأصلية للبشر قبل السقوط وعصيانها مع الوحوش كانت بسيطة « الإنسان كانت له قداسة وإستقامة وكان لا يشر الحيوان إذا قابله ـ والحيوانات عرفت ذلك عنه بالغريزة فلم تضر الإنسان هى بالمثل ـ ويبدو أن سر العداوة بين الإنسان والحيوان أوجدتها الخطية وهذا حق كما كان للانسان سلطان أسنده من الله على الوحوش (تك ٢) ، ونرى فى عملية ترويض الوحوش أنه توجد بين الروض والوحش علاقة طيبة ليس فيها شر مما يجعلها يتآنسان ويتآلفان . . .

(٢) ذكرت بالنص القبطى السعيدى فقط .

رجال هذه المدينة . فجاء الوالى إلى مدينة الأسكندرية بصحبة « سباستين » الذى كان حاكماً على الجنوب ، وأوقفوا القديس وسلموه إلى ووكليانوس الحاكم لكى يأخذه معه إلى مصر ليقتل هناك ، ولما سمع برليوس بذلك حضر لمقابلة القديس وقبله وقال له « سلامى لك أبى الصالح أرجوك أن تذكرنى فى الأماكن المزمع أن تذهب إليها ليعطيك الرب شجاعة إلى أن تقابل العلى » ، ثم أن يوليوس أرسل معه خادميه فستوس وتيوزيوس وأوصاهما الا يفارقاه حتى يتم جهاده بسلام وحتى يضعا جسده فى المكان الذى عينه له الرب ، وجاء ايضا بعض أغنياء المدينة من الذين صنع القديس معهم عجائب وقد موا بعض الهدايا له وكان من ضمن هذه الهدايا بعض الأكفان الغالية .

عذاباته الأخيرة واستشهاده

أقلع الحاكم وجنوده بمراكبهم وساروا نحو الجنوب ولما وصلوا إلى قرية تدعى بهنمون (بمنطقة بنى سويف) شعر القديس بأن هذا هو المكان الذى سينهى فيه جهاده ، ونزل الوالى ومن معه وأحضروا ركائب ليصعدوا بها إلى الهيكل لكى يعبدوا الآلهة المكروهة ولكن الركائب لم تتقدم نحو الهيكل فقال لهم القديس إبيما « حى هو الله لا تتركوا هذا المكان قبل أن تحكموا على لأنه المكان الذى عينه الرب لكى أستشهد فيه » ، فنصبوا كرسى الولاية فى بهنمون وأرسل الوالى بعض الخدام ليحضروا تمثال الإله الكبير أبولو لكى يعبدوه فى هذا المكان وفى أثناء عبادته وتقديم البخور سجد له الحاكم وكل الجنود ، ثم لما فرغوا من عبادة الوثن أمر الوالى أن يجمعوا كل المسيحيين الموجودين فى هذا المكان ، وكان من ضمن هؤلاء أنبا سيرابيون قس المدينة وهوريون وتكن وأبوتاه وابديمون وبيتوسيرى وجمع من المسيحيين الآخرين من هذه المنطقة ، وأمروهم أن يسجدوا للتمثال ، ولما رفضوا أهلكوا البعض منهم وحكموا على البعض الآخر بالسجن ، وأما القديس إبيما فاقتادوه بالقوة إلى التمثال وقالوا له : « يا إبيما ها هو سيدك قد أحضرناه لك لكى تسجد له » وقال له الحاكم إذا كنت تخجل من التضحية للآلهة فى مدينتك لأنهم يعرفونك هناك فهنا بالتأكيد ليس من يعرفك ولا من يراك ، فضح إذن ونحن نطلق سراحك فتذهب إلى بيتك بسلام ، فلماذا تجلب على نفسك هذا الهلاك وهذا الموت دون أن يرغمك عليه أحد بينما أمامك طريق الخلاص والنجاة وزيادة على ذلك فإنى سوف أكرمك

قال له القديس إبيما حينئذ « أنا أعرف غنى إلهى الكثير الموجود فى الأبدية النورانية وقد وجهت قلبى نحوه مرة واحدة حتى يكون لى نصيب فى مملكته السمائية لأنه يحسن الجزاء لكل من ترك من أجله أمور هذا العالم ، وأما من جهة بيتى فأنا أعلم بالتأكيد أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا فى السماء بناء غير مصنوع بيد أبدى (١) ، وأما عينا إلهى فتخترقان أستار الظلام وجميع أعمالنا منقوشة أمامه وكل ما نعمله فى الخفاء ينادى به على السطوح (٢) » . أفلا تخشى منه أنت بالأولى أيها الملك بسبب أعمالك الرديئة وعبادتك للشياطين المرذولة...؟ قال له الوالى « أى مجد يكون لك وأية حياة وأنت بكلامك هذا وبتصميمك على عدم عبادة الآلهة تقود نفسك إلى الموت » ، أجابه القديس « إن هذا الموت حسب الظاهر الذى يحكم به على ليس موتاً لكنه حياة أبدية فى الدهر الآتى . . . (٣) » .

صعوده الأخيرة واستشهاده

بعد ذلك تقدم القديس إبيما نحو تمثال أبولو وقبله على الأرض وتقوى بقوة الروح القدس ، ولما رأى الوالى ذلك منه أمر للوقت بقطع رأسه لئلا تغضب عليهم الآلهة وتمنعهم من إتمام رحلتهم ـ فحمل الجلادون القديس خارج

---

(١) ٢ كو ٥ : ١ .
(٢) مت ١٠ : ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) مت ١٠ : ٣٩ .

المحكمة لكى يقطعوا رأسه فطلب منهم القديس أن يمهلوه قليلا حتى يصلى . ولما سمحوا له رفع يديه نحو السماء وابتدأ يصلى هكذا قائلا : « إفتح لى يارب الأبواب ياخلاصى لكى أدخل فيها ، ياملائكة النور تقدموا معى ، يابوابين النور كونوا معى وافتحوا لى أبوابكم ، ياقديسى الله القائمين هنا الين كونوا معى . . . لينسحب أعدائى ولتبعد قوات الشر وتهرب من أمامى وليضىء نورك من أجل يارب يسوع تعال ياسيدى وكن لى عوناً فى الطريق لأنه باطلة هى محاكمات البشر لأنى أتقدم الى محكمتك أيها الرب الذى صعد لكى يعد لنا مكاناً ، إقبل نفسى اليك واقبل ذبيحة جسدى ، أيها الرب المبارك مع أبيه الصالح والروح القدس الذى له المجد إلى الأبد آمين » .

ولما أكمل صلاته أدار وجهه إلى خلف فرأى خدام يوليوس واقفين لأنهم كانوا مستعدين لعمل ما أمرهم به سيدهم فناداهم وأوصاهم بكل ماقاله سابقاً . . . وعرفهم بمكان دفنه ثم باركهم وقال لهم : « الرب يرسل ملاكه لكى يهيىء طريقكم وأوصاهم أن يسلموا على يوليوس .

وقبل أن يتقدم الجلادون جثا على ركبتيه وكان ينظر نحو السماء وكأنه يتأمل شيئاً فيها أو يحدث شخصاً ويقول : « ياسيدى يسوع المسيح شكراً لك بامن أعطانى الآن أموت من أجل اسمك ، وكان فرح الوجه متهللا كمن تقابل مع حبيبه الوحيد ثم قال كلماته الأخيرة قبل أن يقطعوا رأسه : أرغب ياربى يسوع أن تعطينى طلبة أخيرة وهى أن تعوض كل من تعب معى وتكتب إسمه فى سفر الحياة وتبارك منزله . . . »

وفى هذه اللحظة وبط الجلادون القناع على وجه القديس وتقدم أحدهم وقطع

رأسه وقال إكليل الشهادة وكان ذلك فى اليوم الثامن من شهر أبيب المبارك ، صلاة هذا القديس تكون معنا آمين .

الإحتفال بدفن القديس

ثم أن خدام يوليوس أخذوا الأكفان وغطوا بها جسد القديس وحملوه على مركب صغير واتجهوا به نحو الجنوب الى أن وصلوا الى مينـــاء بيموشى (١) ، وهناك أنزلوا الجسد المقدس ووضعوه على دابه إلى أن وصلوا إلى نيكولونيس جنوب شينوت (٢) ، وتوقفت المركب عند جبل ـ شينوت ـ ويقال أن صوتاً خرج من الجسد قائلاً : يافستوس وثيؤزيموس خادما يوليوس هذا هو المكان ، وكان معهما عصى من خشب الزيتون وكانا يضربان بها الدابة ، ويقال أن العصى أورقت وأخرجت أغصانا ، ولما سمع سكان مدينة بكلون (بالبهنسا) ، وهو المكان الذى ولد فيه القديس ، فرحوا مع سكان شينوت وخرجوا مستقبلين للقداس جسد القديس بمجامر مملوءة بالبخور وأدخلوه البيعة المقدسة وكانوا قد زينوها ثم دفنوا جسده بإكرام .

---

(١) فى منطقة البهنسا .

(٢) ذكرت فى القبطية الصعيدية شنواده وهى تقع فى منطقة البهنسا .

« رجع خادما بوليوس إلى سيدهما وقصا عليه كل ماحدث للطوباوى وأعطياه العصى التى أفرخت فتعجب بوليوس ومجد الله إلهه إيبا » .

أما أنا بوليوس فجلست ونفسى ملتهبة فى وأمسكت بالقلم وشرعت اكتب « سير » أبى القديس مار إيبا بما فيه من عجائب ومعجزات وأمام الله الذى يرى روحى وجسدى وعقلى ، أؤكد أنى لم أزد ولم أنقص شيئاً على معجزات القديس إيبا وأخذت هذه السيرة وصارت بركة لبيتى ، وقد أعطانى الله نعمة حتى حفظتها ولم أرغم على التضحية للأوثان إلا ان الله سمح بأن ينسى هؤلاء الوثنيون فلم يطلبوا منى أن أضحى لآلهتهم مما مكننى من أن أعتنى بالقديسين فأحببت القديسين وكنت لا أزال أهرع وراءهم فى السجون وأعتنى بهم وأحضر لهم مايحتاجون اليه ، وكنت أخفف آلامهم وأوجاع أجسادهم .

وبعد ذلك حدث أن مات الملك دقلديانوس الوثنى وقد ترك السجون فى كل مكان مليئة بالمسيحيين، أما أنا بوليوس فلما رأيت تعب القديسين الذين فى سجن الاسكندرية ذهبت إلى رئيس السجن ورجوته أن يطلق سراحهم فقال لى « أنى أخشى أن يقوم ملك وثنى آخر يبحث عنهم فأصبح فى خطر عظيم » ، فقلت له: « إنى أذهب بدلا منهم وأبقى مع زوجتى وأولادى وأختى أفخارستيا الى اليوم الذى يأمر فيه بما فى صالحهم ، فدخلت السجن وأطلقت سراح كل القديسين ، وذهبوا فى سلام كل الى منزله وبقيت أنا فى سجن الاسكندرية . إلى هنا أنتهت سيرة الشهيد إيبا بقلم بوليوس الأقفهصى الذى ستأتى سيرته بركة صلاتها تكون معنا آمين.

الفصل الرابع

تاريخ حياة كاتب السيرة

هو الشهيد المختار بوليوس الأقفهصى الذى تحتفل الكنيسة القبطية بتذكار استشهاده وتكريس كنيسته .

ولد فى قرية اقفهص التابعة لمركز القشن وقد نشأ فى أسرة غنية وقد علمه والداه تعليما ممتازا وهذباه بكل الآداب فى زمانه ويقال (١) أنه بسبب هذا كان يشغل وظيفة كبيرة تشبه وظيفة السكرتير العام لحاكم الاسكندرية ويرجح « الدكتور توجو مينا » أنه كان قريبا من أثرياء الاسكندرية العظام وكان موضع ثقة حاكمها .

والمهم أنه كان معاصرا للاضطهاد الذى حدث أيام دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م)، وكان محبا للشهداء والقديسين ، وكان يساعدهم أثناء محاكمتهم ويخفف من آلامهم أثناء تعذيبهم ويزورهم فى السجون ويتولى دفن أجسادهم - وزيادة على ذلك كان يتولى كتابة سيرهم المقدسة وكتب يوليوس كثيرا من هذه السير أهمها : (٢)

القديسون : مرقوريوس . قزمان ودميان . ابالى ويسطس . بقطر بن روما نوس ويعقوب الفارسى . أباكير ويوحنا . بربارة ويوليانه . مار بهنام وساره أخته .

(١) « أولرى ص : ١٧٥ » وكتاب أعمال شهداء الكنيسة القبطية « لأبيليتو » ص ١٢٤ ، والسنكسار .

(٢) Bulletin de l' Archeologie Copte 3.1937, (Page 46).

سرابامون الأســـقف . بساده وغليفكوس . بشاى وبطرس . مار تادرس بن يوحنا . تادرس المشرق . مار مينا العجايبى . الاربعين شهيداً بسبسطيه . ابيا . مكاريوس . يوحنا وسمعان . ديديموس . أنوب . آرى القس . سرجيوس . ايليا المتوحد . يوحنا من سنهوت . أمون الطوخى . . . . . وغيرهم كثيرون .

أعمال القديس ورعاية الله له

كان هذا القديس يقوم بهذه الأعمال وهو لايخشى بأس والى الاسكندرية أو غيره لأنه كان مسيحيا غير أن الله كان قد أنزل السكينه من جهته على قلوب الولاة فلم يكلمه أحد منهم بعبادة الأوثان وقد حفظه الله سالما لغاية حسنة وهى خدمة قديسيه وكتابة سيرهم تذكارا للأجيال المقبلة ،غير أن يوليوس لم يكن يقوم بهذا العمل بمفرده بل كان لديه حوالى ثلثمائة غلام من الكتبة مساعدين له وكان هو يشرف بنفسه عليهم ، ومن جهة أخـــرى كان يزور القديسين ويداوى جراحهم فكانوا يطلبون من أجله الى الله أن يعوضه وكانوا يمطونه ركلاتهم ، وقد تنبأ بعضهم له قائلا « لابد لك من ســـفك دمك على اسم المسيح حتى تحسب من عداد الشهداء » .

كان يوليوس يزداد كل يوم غيرة فى هذه الخدمة ويقال انه أعد منزلا كبيرا كان بمثابة جمعية اسماف خصصت لرعاية الشهداء واتخذه مقرا لكتابة سيرهم .

عبارة الأميرة واستشهاده

بالمظالم الله فى قديسيه لأنه قال « أكرم الذين يكرمونى » فقد حان الوقت الذى أراد السيد المسيح له المجـــد أن يتمم ما قد تنبأ به القديسون والشهداء عن يوليوس، فلما انقضى زمان اضطهاد دقلديانوس كان القديس يوليوس لا يزال حيا (١)، وفى عصر قسطنطين البار وفى أوائل أيام حكمه كان لم يتمم بعد ولم تكن المسيحية قد أخذت الصفة الرسمية - ظهر السيد المسيح للقديس وأمره أن يمضى الى أركافيوس والى سمنود ويعترف بالسيد المسيح .

إيمان كل من والى سمنود وانريب

انطلق القديس إلى سمنود كأمر الرب وهناك عذبه الوالى عذابا شديداً بمختلف الأنواع وكان الرب يقويه - ولما مضوا به لكى يضحى للمسيحين وثنا بسط يديه لكى يصلى وكانت صلاته قوية خارجة من الأعماق حتى أنها استجيبت فى الحال ، ففتحت الأرض فاها وابتلعت الأوثان مع الأربعين كاهناً خدامـــا . فلما رأى الوالى هذه الأعجوبة وسقوط آلهته أمام قوة القديس الى إلهه آمن بالسيد المسيح وآمن بعض أفراد الحاشية .

(١) كتاب سير الشهداء لأبيليتو . والسنكسار الجزء الاول - وذكر «اولبرى» ان يوليوس استشهد فى أواخر أيام دقلديانوس .

معجزة اخرى وايمان والى انريب

مضى والى سمنود فى صحبة القديس الى والى انريب (١) وهناك عذبها هذا الوالى حسب العادة وظل على هذا الحال الى أن جاء يوم وافق احتفال اهالى انريب بعيد أوثانهم فى هيكل انريب ، وكانوا قد زينوا الهياكل بالمصابيح والقناديل وسعف النخيل حسب عادتهم ، واذ كانوا فى ليلة الاحتفال بهذا العيد قد أوثقوا القديس مع الوالى طلب القديس من الرب أن يظهر مجده ، وفى منتصف الليل أرسل الرب ملاكه ونزع رؤوس الأصنام وسودها بالرماد وأضاع زينتها ، وفى اليوم التالى جاء الشعب والغلمان متحلين بالثياب الفاخرة ففوجئوا بالحادثة، ومضوا الى الوالى وأخبروه بما حدث متعجبين فلما عاين الوالى ما حدث آمن هو الآخر بالسيد المسيح ومعه جمع كثير وأحدث ذلك انقلابا كبيرا فى المدينة مما جعل الوالى يرحل عنها .

استشهاد القديس مع الحاكمين

شعر القديس أن وقته قد دنا لكى يموت على اسم المسيح فأخبر كل من والى

(١) قرية صغيرة بالقرب من بنها وما زالت خرائبها موجودة ويوجد بجوارها تل يسمى تل انريب وكان بها فى القديم دير أشتهر بأعجوبة كانت تحدث فى كنيسة الدير فى ٢١ بؤونه أى فى عيد السيدة العذراء وبتذكار هذه الكنيسة التى يقال أنها أول كنيسة بنيت فى مصر على اسم السيدة العذراء ، وكان المسيحيون يصلون فيها جهارا بعد أن كانوا يصلون فى السراديب والمقابر وهذا كان فى أيام البابا تيئوناس فى أواخر القرن الثالث .

ويقال أن حمامة بيضاء كانت تأتى فى ذلك اليوم وتدخل الى المذبح ثم تختفى .

اتريب ووالى سمنود بذلك فوافقاه على رأيه وذهبوا جميعا الى طوه (١) وهناك اجتمعوا بواليها الكسندروس لكى يقنعوه بالايمان بالسيد المسيح ولكنه اعتذر ولم يرد ذلك فطلبوا منه أن يعذبهم ويقتلهم على اسم المسيح ولكنه أراد أن يرسلهم الى الاسكندرية لأنه خاف .

ولما رأى ذلك القديس بولبوس طلب من الوالى أن يسفك دمه ومن معه على اسم المسيح ، فكتب الوالى قضيتهم وأمر الجند أن يأخذوا رؤوسهم وقد نفذ الحكم أيضا على الحاكمين واستشهد أيضا ما يقرب من ١٥٠٠ نفس فى ذلك اليوم.

كنيسة على اسم القديس بولبوس :

فى عهد الملك قسطنطين البار حمل جسد القديس بإكرام الى الاسكندرية واهتم به الملك لما عرف كمال سيرته فبنيت على اسمه كنيسة بأمر الملك كرسها القديس الكسندروس البابا التاسع عشر (٣١٣ - ٣٢٦) مع بعض الأساقفة ، وكان ذلك فى ٢٥ بابه سنة ٣١٥ م على الأرجح .

وقد اعتادت الكنيسة أن تعيد فى يوم ٢٥ بابه من كل سنة بتذكار تكريس هذه البيعة ، كما تعيد فى يوم ٢٢ توت بتذكار شهادة القديس بركة صلواته تكون معنا ولربنا المجد دائما أبديا آمين .

---

١) طوه قرية بمركز بنا محافظة بنى سويف .

مراجع الكتاب

(١) The Saints of Egypt, O' Leary .

(٢) Le Martyre d' Apa Epima , Togo Mina .

(٣) Bulletin ... de l' art Copte 1937 .

(٤) Bulletin de L' Archéologie Copte 39 .

(٥) Les Actes des Martyres , E . Amélinean .

(٦) The Martyrdom and Miracles St. George .

(٧) مخطوطتان ٦٠٤ قبطية مصورة و٤٧٠ بالمتحف القبطى .

(٨) سنكسار الكنيسة القبطية وسنكسار ريفية باسيه .

(٩) قصة الكنيسة القبطية - ايريس المصرى .

(١٠) الرهبنة القبطية - جمعية مار مينا العجايبى .

(١١) الكنز الثمين فى أخبار القديسين - مكسيموس مظلوم .

(١٢) تاريخ الكنيسة ايوسابيوس القيصرى .

(١٣) كتاب (الروم فى سياستهم وحضارتهم ...)

(١٤) تاريخ أوربا فى العصور القديمة هـ . ا . فيشر .

(١٥) الطرفة النقية للخورى عيسى اسعد .

(١٦) الجريدة النفيسة للأنبا ايسيذورس .

(١٧) تاريخ الكنيسة مأسى يوحنا .

سلسلة كتب للمؤلف

(١) كتاب تعليم اللغة القبطية . (طبعة ثانية)

(٢) « تسبحة عشية الآحاد السنوية .

(٣) « التسابيح الكيهكية .

(٤) سيرة القديس مكاريوس الاسكندرى . (نفد)

(٥) سيرة القديس أرسانيوس .

(٦) آباء البرية القديسون . (جزء أول)

(٧) الشهيد العظيم إبسيا .

كتب تحت الطبع

(١) آباء البرية القديسون . (الأجزاء ٢ – ٥)

(يوسف - زينون - بيمين - سيسوى)

(٢) مخطوطات أسبوع الآلام .

(٣) القديس ايلاريون الكبير .

(٤) سيرة الشهيد العظيم مار جرجس عن خمسة مخطوطات قديمة باللغة القبطية ، ثلاث باللهجة البحيرية ، واثنتان باللهجة الصعيدية محفوظة بمكتبة Bod'lean اكسفورد ، ومكتبة الفاتيكان وغيرها .

• • • • •